

كيف فقدتها !! ...

أقصصة مصرية

بقلم الأنسة جميلة العلايلي

لنقله إلى عالم روحها حيث ينعيم بنور
الطهر والجمال الروحي ، ومدت يدها
في رفق لتمسح الأسي عن صدره ،
وبمشت شمع روحها إلى روحه لتتبر
ظلمات نفسه كما تنساب أشعة الفجر
في الأفق فتبدد ظلمات الوجود محاولة
أن تصهر روحه في بوتقة السمو ،

فتتخلص من أثقال المادية ليخلد إلى عاله الأول منصتاً
إلى أهارج الملائكة ، متنسماً شذى الجنان ، طروباً
بترجييع الحور المقصورات في الخيام ...

ولمحت الفتاة في عينيها النعاع الرضا والاطمئنان
بعد أن أسممها نشيد التفاهم والوثام ، ففرحت وأيقنت
أنه انشئ بكأس السعادة التي يتمناها !

يا لجلال الرجل الحب الصادق في ناظري المرأة
كلاك رائع تراه !

ركبت الفتاة وهي تعلى طويلاً لتدعو الله أن
يحفظ لذاك الرجل قلبه نقياً طاهراً وأن يمينها
على تنفيذ روحه بمواطفتها ...

ثم نظرت الفتاة إلى السماء بعد أن انتهت من
الصلاة وتساءلت بدون كلام ... أترأه يسمع دعائي ؟
أينقل إليه الخيال صورة خشوعي ... ليصلي هو
أيضاً ! !

ثم ابتسمت عندما تذكرت قوله : أخيراً عرفت
قيمة الحياة لما رأيته ... أشعر بنور الله يشيع
في جنبات صدري كأن روحى بشاعها الصافي تملؤ
الوجود كله فأرى العالم وضاً !

لقد كنت حتى البارحة ، مقطب الجبين عابس
الوجه ، أتجبط في ظلمات لا أثر للنور فيها ... إلى

لم تكن تلك اللحظات التي مررت على ذلك
الرجل في ذاك المساء كالحظات الناس أو كالحظات
أيامه الخوالي .

ولم تكن فتاته كالفتيات اللاتي يعرفن الرجل
لينمنن بمظهر من مظاهر الحياة أو لينمنن ثمرة مادية
مرجوة .

لقد كانت تعيش بخيالها في دنيا تموج بالمعاني ،
وترخر بالأشباح الهائجة الرفافة محلقة في دنيا الشمرات
لتلهمهم أناشيد الخلود وأغاريد الفرديس ، فينقلونها
إلى لغة الناس أحياناً معطرة بشذى البنفسج الذي
يتمخض عنه روض السماء في رقة تشبه نسبات الصباح
الشبعة بأريج الزهر ...

أنس الرجل إلى الفتاة لأنه كان في حاجة إلى
من تؤنس ... لقد كان قلبه الخرب في حاجة إلى
من تعممه ، وصدره الصامت يحن إلى من يحركه
ليتكلم ...

كان الرجل مهموماً لما يعاينه في بيته وفي عمله
فشعر بجوارفتاته بفرحة روحية فرجت كربه وبددت
أساء ...

وتحدث إليها عن نفسه ، وفتح لها صحائف
صدره ؛ فتنبه قلبها ، وتحرك وجدانها ، وتأهبت

وقنعت من الحياة بخيال ارتضت به مؤنساً راجية
أن تمر على قلب نبيل تتمهده بعنايتها وتلقحه بيدور
الحبة الصافية من أ كدار الأغراض والشهوات
لتعجى ثمار غرسها مواساة وأنسا ، وتغوز من ميدان
الاختبار بواحد يسد الثغرة ويرأب الصدع ويشبع
ميوها الروحية ويتقن لنسها ... لتشعر بالراحة بعد
العناء وتستقر بعد الحيرة، لتسعد ذاك الذي اصطفتها
من بين رجال العالمين وتدفعه إلى طريق المجد والسعادة
المرجوة، ليتقن بمجده الزمن ، ويردده صوت الخلود،
وتنقش على جبين التاريخ بمداد من النور أبرز صفات
الرجولة القوية ، لتحتل أبرز صفحات الأزل .

مرت هذه الأمانى بذهن الفتاة فابتسمت ورفعت
وجهها إلى السماء منغممة بدعاء لم يسمعه غير الله .

وتكرر اللقاء ...

وتفتح صدر الرجل ...

فإذا به بقدر ما يحمله في قلبه من نبل ...

يخاف !

ولست فتاته ذات مظهر وضيع حتى يخاف أن

تهتك كرامته أو تشوه سمعته ...

لأنها فتاة نبيلة يفاخر كل عظيم بمحادثتها
أو مجالستها ...

وبدا ينسج من التقاليد ستاراً ليسبله على
عواطفهما ... وراح يقدمها لأصدقائه ، ويبيع لها
مجالسة هذا وذاك ... وعذره في ذلك أنه يبعد عنه
سوء الظن والشك .

وكانت الفتاة تنفذ رغبانه تكلفاً لتعرف ما وراء
نيتة المجهولة ...

الأمس القريب كنت أعيش بدون غاية .. وكنت
أرجو أن تمر مجلات الحياة بأقصى سرعتها ، كنت
أشبه بماشق فقد معشوقته وقد كانت كل ماله
في الدنيا إذ كان يستمد منها (أكسير) الجمال والحياة
أجل ، كنت كذلك إلى الأمس رغم ما يحوطني
من مظاهر الحياة وأبهة الجاه وتوفر أسباب الحياة
لدى ...

كان الرجل يخاطبها بلهجة أشبه برنين الحنين
إلى شيء حبيب ، وقد تورد وجهه بعد شحوب ،
وصقل وجهه بعد التجاعيد ، واعتدلت قامته بعد
الانحناء ، وقاضت نظراته بالحياة والأمل بعد أن كانت
خاوية الجاذبية مسلوكة التأثير مشلولة الإيجاء !

أ كان الرجل يعيش في صحراء قاحلة لا ظل فيها
ولا ماء ، فلما التقى بهذه الفتاة اطمان إليها وعرفها
كما يطمئن الشارد الناه إلى عطف النبيل الشفوق ؟
لا . إنما طالت عليه أيام المحنة وأضناء الشقاء
لحرمانه قلباً بمطف عليه ويهواه !

ولست الفتاة في نبراته رنين الصدق والطهر
وطالمت في عينيه برين العفة والنبل .

فاطمت بعد أن ملئت قلوب الوثنيين الذين
يمبدون الحصور والنحور وبحرقون أنفسهم الوضيعة
بخوراً لهيكل الحب المثلوث ؛ فإذا أشفت عليهم
بحكم عاطفتها الرقيقة ، وأسبلت عليهم ستار رحمتها
وعطفها ... برزت أنبياهم وأظافرهم ، وظهرت
وحشيتهم ، وتلاشت إنسانيتهم ، وتنهت فيهم غريزة
السلب والسطو وحاربوها باسم الحب ...

لذا عاشت الفتاة بين الناس غريبة تفتصب
البسمة لتجاملهم ، وتنفر منهم كلما اشتمت رائحة
الذئاب البشرية .

بكرامة جيبته في سبيل مصلحته الشخصية ...
ولم تعرف عباً صادقاً يقدم جيبته إلى أصدقائه
رضية لهم ...

إذن كان هو أيضاً يريد أن يتسلى فلما عرف
أنها فتاة روح غير عابثة تركها لغيره

ولكن الذي حيرها أن يثور ويفتاز كلًا منهما
تخاطب غيره

ولو أنه منعها بالعنف في غير رحمة من مخاطبة
أى إنسان ، لمأنت قسوته وحدث له غيرته وآمنت
بمواطنه ...

لقد كان في نيتها أن تعمل على إسماده وأن تمنحه
من قلبها كل حب جليل . وأن تعيش لتدفعه إلى
الطمانينة والهناء ...

ولكنه رجل مادي أناني لا يقيم وزناً لإل نفسه
ولا يسي إلا لراحته ...

وصب عليها أن تمنحه قلباً عزيزاً على الرجال
امتلاكه وأن تتعلق بـرجل لا يفهم من الحياة غير
ظواهرها ...

فنكست وابتعدت عنه وقد تلاشى كل ما عمله له
من حب وأمل

ودعاها صديقه فلبت الدعوة على أمل أن هناك
ما يبرر تأكيده ...

ولما جاءت ... بادرها بقوله أخبرني صديق لي :
أنك ستزوجين

قالت : ربما

قال : كأنك مزمعة على الزواج حقاً

قالت : يحتمل

وظن كل واحد منهم أنه من السهل أن تكون
الفتاة له وحده صديقة أو حبيبة أو ما يشاء ، وراح
كل منهم يظهر لها النيرة ويحرم عليها في تحفظ
مقابلة غيره ... وهي تتظاهر بالرضا لتبلغ قرار النفس
المجهولة ... تنقسم طويلاً ... ولا يدري السكين
أنها تنقسم تهكاً وسخرية منه ...

فا كانت فتاة مادة حتى تتبع أسباب المادة ،
وما كانت فتاة متمعة حتى تبحث عن المتعة ...

وصرت الأيام نباعاً وهي دائبة على اختبار هذه
النفوس بكل ما أوتيت من ذكاء ودهاء وإحساس ...
واطمان الصحاب إليها أو على الأصح كل واحد
ظن أنه الفائز ...

عدا الرجل الأول ...

الرجل الذي أحبته حقاً وأولته من نفسها كل
ما يطمع أى رجل أن يناله من امرأة محبة مخلصه ...
عدا ذاك الرجل ... فاق وأظهر لها غيرته لكن
في غير حكمة ... كان في مقدوره أن يصارحها
بالواقع وبمنعها من مخالطة صحابه ...

ولكنه يحرص على نفسه ولا يهتم إن كانت
تذهب بنحية التقاليد أو لا تذهب مادام رضى رئيسه
وزملاءه ...

إنه يسحبها من يدها ليقدمها إلى رئيسه ليشره
بأنه يهتم به أكثر من اهتمامه بنفسه ... وكذلك
يفعل مع الزملاء ... وفكرت الفتاة أخيراً ...

أيجبني ذاك الرجل حقاً ؟ ...

وجاوبها القدر الساخر بضحكة نهت عقلها النائم .
فأدركت الحقيقة المرة
لم يقل تاريخ المحبين أن رجلاً محباً يضحي

قال : وإذا قلت لك لا تزوجي

فابتسمت قائلة : وبأى حق تمنى ؟

قال : تعرفين أنني متزوج

فأشارت برأسها أن نعم ؟

قال : ولكنني لم أوفق رغم حداثة عهدي به ، لذا

أخشى أن يصيبك ما أصابني

قالت : وفقك الله

قال : هل لي أن أسألك عن ذلك الزوج ؟

قالت : أمن أجل ذلك بشت إلى ؟ ... ظننت

أن وراء الدعوة أسراً خطيراً ...

قال : وهل هناك أخطر من حياة إنسان توضع

بين يديك ؟

قالت : إنك تتكلم بسهولة عن حياة الإنسان

قال : أرجو أن نتفاهم في جد

قالت : لم أكن هازلة مملك أبداً !

قال في خبث : ما رأيك في فلان ؟

قالت : أنبل منه ما عرفت !

قال وهو يتسم في غيظ : هو ؟

قالت بلهجة التأكيد : أجل

قال : أخشى أن تكوني وقعت ؟

قالت : مثلي لا تقع .. إنما تفهم وتحس

قال : المهم ... أني أنصحك بمدم الزوج

قالت : لم ؟

قال : لكي تغالي كما أنت سميدة .. وإذا تزوجت

طبعاً حرمتنا منك ! ! ...

فضحكت متبكية قائلة : آه فهمت ... تريد

أن تستبقيني لكيلا نحرمني ... كم أنت لطيف

ياسيدي ... أنت متزوج وأنجبت أولاداً ... أعني أنك

نعمت بالزواج والقدرة وتريد أن تنم ..

فقاطمها قائلاً : بالحب

فأردفت قائلة إذا تجاوزت الحقيقة وأسميته حباً

فهل تظن الحب الحقيقي يدفع صاحبه إلى موت

الآخرين ... أندفعني إلى الهلاك وتقول من أجل

الحب ... ما أعجب حب هذا العصر المادى الحقيير ...

فتلطف قائلاً : لم تفهمي مرماي ... أعني أنه

في نيتي أن ...

فلم تدعه يتم كلامه ووقفت لتخرج وهي تقول :

إبحث لك عن فتاة بدون قلب لتعيش بدون زواج لك

ولقيا الرجل الأول في الطريق ، ففهم أنها كانت

عند صاحبه ، فبان الحق من عينيهِ وقال بلهجة

المغيظ : كيف حالك يا آنسة ... طبعاً مسرورة

فتسكفت الرضا وقالت : كل السرور

فماذ يقول في غيظ : إنك تلعبين بالنار وتعاملين

الناس سواسية

فابتسمت في مرارة وقالت : ومن حسن الحظ

أن نأري بلا لخب محرق ... ! وأنت كيف حالك ؟

قال في ألم : على غير ما أرجو ... ظننت أنني

اهتديت أخيراً إلى مرقاً السمادة فإذا بي أزداد شقاوة

ونعاسة ...

قالت : أوه ... هذا مؤلم حقاً ... ومن تظن

سبب شقاوتك ؟

قال : في هذه الأيام أنت ... كنت أحسب

أنك ستقفين بجانبني ...

فنزطت إليه طويلاً ، فجعل وأطرق ، ثم قالت :

ياسيدي ... ليلة القدر تظهر مرة واحدة في العام

ولا تظهر إلا للسميد ...

الفصول والغايات

معمزة الشاعر الطائب

أبي العلاء المعري

طرفة من دوائع الأدب العربي في طريفته ،
وفي أسلوبه ، وفي معانيه . وهو الذي قال فيه
نأقذو أبي العلاء إنه عارض به القرآن . ظل طول
هذه القرون مفقوداً حتى طبع لأول مرة
في القاهرة .

صححه وشرحه وطبعه الأستاذ

محمد حسن زنتي

نمته ثلاثون قرشاً غير أجرة البريد
ويطلب بالجملة من إدارة مجلة « الرسالة »
ويباع في جميع المكاتب الشهيرة

وكذلك فرصة السعادة توافي الإنسان مرة
واحدة ... فإذا لم يقنمها ويصنها فلن تعود إليه أبداً
لقد وائتك الفرصة ... فلم تصنها ... إذن
فالقنن ذنبك

أنت الرجل صعب عليك أن تصون حب فتاة ،
فكيف تطمع في حب الفتاة ؟

طهر نفسك من أمراض المجتمع وارتفع عن
مصاف العامة ... لتعرف كيف تحيا هادئاً سعيداً
مطمئناً ...

بعد شهور تبلغ مرحلة الشباب وسوف تقدم على
عمر قصيته في ذمة التقاليد الناشئة

غداً يتنبه قلبك راجياً قلباً حانياً فلا تجد أمامك
غير وحشة الشيخوخة وقسوة المرأة الحقاء

وغداً عند ما تطالبك عواطفك بحققها المشروع
لا تجد أمامك غير الجذب والحرام ...

بقدر ما تحرم قلبك اليوم سيطلبك قلبك
في الفداء .

ولن تشعر إلا بمجاعة روحية هائلة تبعث الظلمة
الحالكة في نور حياتك ... لقد داعب الشباب رأسك
وغداً يشيب قلبك فهل أفرغت في صدرك (أكسير)
الحياة لتستعين به على الأيام المقبلة الجذباء ...

انعم بالمادة .. وتمتع بالمرکز .. وخذ من ظواهر
الحياة كل ما يعوزك ... فلن يروق ذلك خفقة
واحدة من قلب يحبك ...

غداً تود لو تبسيع ما تبقى من عمرك لقاء لحظة
واحدة تقضيها بين ذراعي امرأة تحبك ...

ولكن هيهات ... هيهات

معمزة العلاء

صدرت الطبعة الجديرة من :

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

« ومن إدارة الرسالة »

الثنى ١٢ قرشاً